إشكالية الكم في المنظومة التعليمية

بين النقل والاستنساخ وبين الكفاءة والتطبيق

تمهيد: إن التحول المعرفي والعلمي المستمر، الذي نعمته في واقعنا،يحتم علينا النظر وبصفة دائمة في (تبدع طرائق، وجاء مخططات تعليمية جديدة، قادرة على مواجهة هذا السبيل الحضاري الدفق، وهذا الانفجار المعرفي المتغير وباستمرار وذلك لتهيئة طلابنا وبصورة منتظمة لاستقبال المعلومات والمهارات التي يحتاجونها في تعاملهم مع مشكلات الحاضر والمستقبل.

والنظام التربوي كل مركب من عناصر وظيفية تقوم بينها علاقات تبادلية تجري ضمن قوانين محددة، بحيث له حدث خلل يوازي عنصر من عناصر هذا النظام ، انعكس هذا على النظام كله.

وتطور هذه العملية، ينبغي أن يكون ضمن المحاور الأساسية، للبحث العلمي بإدراك الكامل والمفصل للظروف المحيطة بها من كافة الجوانب الدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية.....

فالتجارب التعليمية ثمرة بيئتها، ونتاج ظروفها الاجتماعية والحضارية وكل العناصر البشرية المشاركة فيها .....

ومعنى هذا أنه يجب النأي عن استنساخ ونقل تجارب غيرنا، وتجاهل لهذه الظروف وتجاوز لحقائقها لأنه موقف غير علمي أولاً، وغير عملي ثانيا.

ونحن بهذا لا نعني إهمال هذه التجارب وعدم الالتفات إليها لأن دراستها والتعرف على معلومتها وما قدمت من إضافات في مجالها، ضرورة علمية مؤكدة، ومحاولة الاستفادة شيئ مختلف عن النقل والاستنساخ

فالإفادة القائمة على التحليل والوعي أمر ضروري تفرضه الموضوعية فرضاً.

ويعتبر التعليم العام الحاضنة التي تتشكل فيها المقومات، وتتبلور داخلها الخصائص والسمات.
ولأهميته يجب النظر وبوعي كامل في وضع الوسائل التعليمية الناجحة في تحقيق المطلوب بما يساير وما هو موجود في الدراسات الجامعية بشكل شامل يحقق الإنسان بين جميع الأطوار التعليمية.
ومن هذه الوسائل البرامج أو المحتوى.

ويعرف النحوي بأنه المعرفة التي يقدمها المنهج بأشكالها المتنوعة أو هو الموضوعات التي يتضمنها مقرر دراسي متين.

---

(1):أنظر كتاب التعليم والعربية رؤية عن قريب علي أبو المكارم دارغريب الطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ص

وبعد المحتوى أحد عناصر المنهاج، وأولها تأثيرا في ألأهداف التي يرجى تحقيقها.

والإشكالية المطروحة من المنظومة التربوية تكمن في كيفية إعداد البرامج المستحدثة بمراعاة الترابط الحيوي بين الكم و الكيف وبناء العملية التعليمية.

فالبرنامج إطار بالغ التقنية والتقنية لا ينبغي أن تفرض بشكل فجائي على المؤطرين إن ليس مناسبا أن تملي على المكون وهو لم يستسغ مفهومها بعد، مع كثافة هذه البرامج التي طغت على ميكانيزمات التربية، فأدت الى فوضى عارمة، أدت الى تجريد عامة التلاميذ من ملكة التفكير والحس النقدي وتحويلهم الى آلة حافظة للدروس التي يتضمنها هذا البرنامج المكثف وكفى على حد قول أحد المنتقدين لاصلاحات الوزارية.

واذا نظرنا الى الكيفيات التي تمت من خلالها تصحيح المنظومة التربوية نجدها اجراءات تمت الموافقة عليها بعيداً عن استشارة القاعدة المعنية بهذا التعديل إذ فوض الأمر الى فئة أكاديمية زاحت تنقل احيانا وترتجل احيانا أخرى في انتقاء المبادئ والقواعد التي تراها الانسب لمنظومة التعليمية كانت تأمل أن تكون ناجحة وذلك دون مراعاة الحاجة العلمية للمتعلمين والاحتياجات الموضوعية للمجتمع وفي شتى المجالات.

ومن أثار هذا الارتجال المنفرد الرسوب الكاسح لعدد كبير من التلاميذ لعدد كثير من المؤسسات المتوسطة على سبل كما حدث مثلا مع تلاميذ المتوسطة لولاية الشلف في مادة الانجليزية لعام 2008/2007.

والسبب يعود الى صعوبة النص الذي تحدث أنذاك عن شبه الجزيرة قرلند بالاسكا. والنص الذي تحدث أنذاك عن شبه الجزيرة قرلند بألاسكا. والنص كان يصف مضيقاً... فوقف الطلاب عاجزين كل العجز عن فك خطاباته المسننة.

كما حولت هذه الأليات الجديدة، اهتمام الاستاذ من العمل التربوي الى اهتمامه بالعمل الاداري وتسخير أوقاته في انجاز جملة من السجلات والتقارير الشهرية فيكون هو وحد ذاته غير قادر على الالمام بهذا الكم المعرفي الهائل أو حتى اعادة صياغة بشكل مستساغ يطمئن اليه فهم التلميذ.

فالواجب علينا أن يصرخ المعنيون في وجه القائمين على التعليم والبحث العلمي توقفو، كفى فالفشل من تلبية حاجات الطلاب الفكرية والمادية مع بتر الصلة بالحياة ومشكلاتها والنأي عن معالجة مستجداتها.

وظل واقع يتسم بالتصرف وقصر النظر سيعرض علينا تصويب هذا التصحيح أو تصحيح هذا التصحيح مرة أخرى.

أما مواقع الانترنت في المنظومة التعليمية فيتربع على مساحة كبيرة من حجم الموضوعات المقررة و الأطوار التعليمية الثلاثة، إذ ترى معظم نصوص الكتب المقررة من السنة الأولى الى السنة الرابعة من التعليم المتوسط منتقاة من الانترنت اعتقاداً أن هذا الاجراء السبيل سيصنع الكفاءة ويمكن لها بفصل النص عن صاحبه وعزله عن كل ظروف والمؤثرات التي أنتجته.

ومثل هذا المنحنى الخطير سيقضي لا محالة على الانتماء الحضاري ويغيب الهوية ويطمس الأصول الفنية والأدبية التي تمتد جذورها الى قرنين من الزمن قبل مجئ الاسلام.

والبحث العلمي الاكاديمي الجاد يرتكز على الأمانة العلمية في هيكلة المادة وتفريغها فالتمثل بالشاهد، دون ايعزه الى قائله، أمر مرفوض كقولنا قال أحدهم، وبهذا فنحن نتجاوز قاعدة التوثيق والاسناد، التي اتخذها العالم الأخذ القديم، حجر الزاوية في رسم مدونة اللغة العربية الفصيحة ونقل روايات التراث الصحيحة.

وكثرة الكم المعرفي قاد الى الوقوع في أغاليط لا يمكن أن نغض الطرف عنها ولا يمكن الجزم إذا كان الأمر سهواً وغفلة، أو كان لغرض الحاجة في نفس أمره بالحق السوء والضرر .

فلو تفحص كتب الطور الثاني في مادة اللغة العربية لوجدت الكثير من النصوص تنسب الى غير قائلها.

كما نقف على أبواب من التحريف والتخريف التي لحقت بأيات القرأن العظيم، وحديث الرسول الكريم صلى الله عليه السلام.

وأمام هذا الوزر العظيم لم يكن بوسع مفتش المادة سوى أن يشقوا قلوبهم حسرة وتألما ولمداواة الحال زاحو يشكلون لجان تصحيح، مكونة من أساتذة مختصين سيحملون على عاتقهم مهام تقويم الكتاب المدرسي، ومتابعة الاخطاء الموجودة في مواضيعه، مع تصحيحها، واعداد تقارير بشأنها وأول ما سيشمله هذا المهام هو النظر الى العناصر الأساسية من حيث :

ارتباط محتوى المقرر بالأهداف التعليمية التي وضع من أجلها وموافقة المحتوى لأحداث الأحدث ما وصل اليه التطور العلمي في هذا المجال والترابط والتدرج في مفاهيمه العلمية مع التركيز على الأساسيات دون الاشراف في التفاصيل وملاءته مستوى نضج المعلمين والارتباط بخبراتهم وحاجاتهم وميولهم والاتفاق مع ثقافة المجتمع وقيمه، وأهدافه .

تنظيم المحتوى بالصورة التي تساعد على تطبيق الطرق والأساليب الحديثة في التعليم والتعليم لأن العلم إطاراً كمياً يبدا من البديهيات ويمتد مع الظواهر الى الكليات، " فالمعرفة تأتي على شكل وحدات متتالية فكل وحدة تبنى على التي سبقتها حتى يكتمل الهيكل المعرفي ويخزن المحتوى كليا في الذاكرة...."(1)

---

(1): عن كتاب " من قراءات المركز– وزارة التربية الوطنية، المركز الوطني للوثائق الجزء الثاني2008 20/2

ويجب في ذلك مراعاة التوازن بين محتوى المقرر، سواء أكان من ناحية تغطية جوانب الموضوع المختلفة، أم من حيث شمولية الأنشطة وخبرات تعليمية متنوعة والجوانب المعرفية والوجدانية.

ومن عناصر المقرر التي ينبغي تعديلها:

1 – البعد عن اطالة الجملة، والاختصار المخل.

2 – ملاءمة حجم المادة العلمية المحددة في الخطة الدراسية.

3 – احداث علاقة عملية بين ماهو فني والاكاديمي، وبين النظري والتطبيقي.

4 – حذف النصوص التي تتعارض مع قيمنا وديننا وواقعنا.**

5 – ارجاع الذوق بفك وثاق اللغة العربية من خلال التقنية التي أفقدتها جماليتها و أذهبتا رونقها.

**(كانعدام البيئة المتحركة التي تطلعه عليها بعض النصوص الثلاثية ، التي اهتمت بذكر الوسائل التكنولوجية المتطورة جداً في بلدانها الأصلية/ ثم في الشق الأخر بجانب الخيال، الذي يتقيد بمعاييره الخاصة لتحقيق الشخصية)

وبناء الرؤية العلمية، يجب أن يكون وفقا لخطة سديدة الاحكام، لا خلل فيها، ولاتفاوت بين مراحلها، ولا انقطاع لأي عنصر من عناصرها.

فوجب إذا التخطيط والبحث في تكييف محتوى البرنامج مع مايتلائم والأهداف التي نريد تحقيقها، ولأجل ذلك ينبغي هذا العمل أن يكون مشتركاً بين كل ماله علاقة بهذه المنظومة ليصبح المقرر بذلك نتاج مجهود متكامل للمجتمع ككل.

فتشارك فيه الهيئة المركزية، والمسؤولين المباشرين، بخلق الظروف المباشرة المناسبة لاجتماعات اللجان المتخصصة مع نوفير كل التسهيلات لتقبل الرؤى، وجمع الطروحات.

-أصحاب المناهج الذي يحملون على تشجيع التعاون، وتبادل الخبرات، والدعوة الى المزيد من التقصي بشكل موجه ومنتظم.

-علماء الاجتماع والثقافة ويكمن دورهم في تحديد العناصر والخصائص الثقافية التي يتوجب أن يحتويها المنهج الذي تصب فيه المعرفة.

-الأكاديميون: ويتمثل دورهم واقتراح المعارف الأكاديمية، المناسبة مع اقتراح أفضل الوسائل لتعليمها وتعلمها.

-مختصو التقنيات التربوية: الذي يبحثون وانواع الوسائل والأجهزة التعليمية المناسبة لتعلم المنهج وتعليمه واقتراح أماكن وجودها والحصول عليها، واقتراح كيفيات تصميمها وتطويرها إذ دعت الحاجة.

-مديرو المدارس: الذي يقترحون بعض الأنشطة التربوية، ووالوسائل المناسبة تربوياً واداريأ....

-المعلمون: ويتم دورهم في رسم البيانات الساسية، اللازمة لعملية التخطيط كمستوى الطلبة الحالي، ومدى امكانية تدريس موضوعات المنهاج، مع ضمان الاطار الفكري الموحد الذي يجمع عمليات التخطيط وعمليات التنفيذ، وبناء عليه تقل الفجوة بين المنهج الموضوع، والمنهج المنفذ فعليا داخل الغرفة الصية.

-الطلبة: المنهج المخطط ستأنس بأراء الطلبة، أذ له فعالية عالية في العملية التعليمية لأنه يخطط وضوء خبراتهم وحاجاتهم.

-عامة المواطنين: ان المواطن يستطيع الاشتراك وتخطيط النتائج المرغوب فيها والعملية التعليمية.(1).

---

(1): انظر كتاب " المنهاهج بين التقليد والتجديد، تخطيطاً تقويماً تطويراً، طه حسين الديلمي، عبد الرحمن عبد الهاشمي، دار أسامة للنشر والتوزيع، المشرق الثقافي – رط 2000، من ص 66 ص 68.

وينظر كتاب: التكوين التربوي لطلبة وخريجي المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر، اعداد ناصر الدين زبدي أشراف مدني عباسي 1986.

وهكذا فانك ترى أ، تكون المنهاج ورسم معالمه التربوية، مهمة اشتراك وتصميمه، وهنستها أطراف عديدة، منها الأسرة، والمتعلم والمعلم والمدير والموجه التربوي وأصحاب الاختصاص في تخطيط المناهج ووزارة التربية والتعليم.

وكل هذا من أجل ضمان النمو المعرفي السليم، يتحدى التفكير العلمي ويتحدى العولمة، وسياسة الاحتكار وقادرا على مواجهة تحديات المستقبل، واللحاق بركب الأمم الحضاري.

الأستاذة: حمدية زدام.

قائمة المصادر والمراجع

1 – التعليم والعربية لأبي المكارم– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة (دط) (دت).

2 – التكوين التربوي لطلبة وخريجي المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر مابين1965– 1985 لناصر الدين زيدي الجزائر (دط) 1986.

3 – المنهاج بين التقليد والتجديد تخطيطا وتقويما وتطويرا، طه حسين العديملي وعبد الرحمن الهاشمي دار أسامة للنشر والتوزيع المشرف الثقافي الأردن عمان2008.

4 – منطق السرد لعبد الحميد بوزايو ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (دت) (دط)

5 – من قراءات المركز، وزارة اتلتربية الوطنية المركز الوطني للوثائق (دط) 2008 الجزء الثاني.

6 – محاورات ومساءلات أجريت مع مدراء ومفتشي وأساتذة بعض المؤسسات التربوية.